المبحث الثاني
(تشجيع الأمراء والخلفاء والملوك للعلم والمعرفة)

لقد أنجبت الأندلس خلفاء عظام خلدتهم أعمالهم البارزة وذكرهم المؤرخون في مجلداتهم خلفاء، حرصوا على عمارة الأندلس واحتضنوا الغلماء وشجعوا العلم والمعرفة وجعلت العلم باباً من أبوابها ينهل منه يريد وما يريد ومن جميع البلدان الإسلامية.يأتي طلاب العلم إلى قرطبة،مدينة العلم والعمران يقول ابن بسام

الشتريني: ((كانت قرطبة منتهى الغاية ومركز الراية، وأم القرى، وقراءة أهل الفضل والتقى ووطن أولي والنهى،وقلب الإقليم، وينبوع متفجر العلوم وفيه الإسلام، وصخرة الأمام ودار صوب العلم، وبستان ثمرة الخواطر،وبحر درر العقول،ومن افقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر، وفرسان النظم، والنثر)) [1]. ووصفها أبن الشباط بقوله: ((قرطبة محل الإمارة وصقر الخلافة،كثر بها العلم والعلماء، وأستعر بها النبلاء والفضلاء، وصارت دار الهجرة للعلم ومكان رحلة لأولي الفهم)) [2] إن الخلفاء كانوا مولعين بالعلم وكان لهم اهتمام واسع وكان فيهم الشاعر والأديب والبليغ، وأولهم داخل الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، وهو أول من تولى الحكم من بني أمية وكان عمره عندها خمساً وعشرين سنة [3] وهو من أهل العلم والمعرفة شجع العلماء وقربهم إليه [4] وكان هو نفسه شاعراً مجيداً فصيحاً بليغاً، راسخ العقل ومن شعره ما كتب لأخته بالشام يتشوق الى وطنه. فأنشد قائلاً:

أيها الراكب المُميمُ أرضي ... أقرمن بعضي السلامٌ، لبعضي

إن جسمي كما علمت بأرضٍ ... وفؤادي ومالكيه، بأرضِ

قدر البينُ بيننا، فإفترقنا ... وطوى البين عن جفوني، غمضِ

قد قضى الله بالبعاد علينا ... فعسى بإقترابنا، سوف يقضى[5]

أما الأمير الحكم الربضي (180- 206هـ / 796- 821م)[6] فكان خطيباً بليغاً شاعراً، مولعاً بجمع كتب العلوم والفنون، وقد بعث عباس بن ناصح الثقفي إلى بغداد ليشتري لهُ الغريب من

---

(1)ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي (ت 542هـ / 1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، م1، ق1.تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1975 م، ص33.؛ مؤلف مجهول، تأريخ الأندلس، 160.

(2) ابن الشباط، محمد بن علي التوزري (ت681هـ/1282م)، تأريخ الأندلس لإبن كردبوس، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، بمدريد، 1971م، ص 71.

(3) أبن عذراي المركشي البيان المغرب، ج2، ص 60 .

(4)الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد (764هـ/1362م)، فوات الوفيات،، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1974 م، ج2 ص 267.

(5) الحميدي، جذوة المقتبس، ص 15ص16؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المعرب، ج2 ص 60.

(6) الحميدي، جذوة المقتبس، ص 16؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ص121.
مؤلف مجهول، مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها،، مطبعة ريدنير، مدريد 1867م، ص117.

الكتب [1]، وقد عُرّف بقوتهِ وشجاعتهِ وكرمهِ، وعرّفَ كذلك بفصاحةِ شعرهِ،ولا سيما الحماسي، ومن ذلك:

ولمـــا تســـاقينا ســـجالٌ حُروبنـــا سَـــــقَتْهُم مـــــن المَـــــوتِ ناقِعـــــا [2]

والأميرعبد الرحمن بن الحكم الثاني (206- 238هـ / 821- 852م)وكنيتهُ أبا مطرف، عرِفَ بسيرتهِ المحمودة، وعلمهِ في الشريعةِ والفلسفةِ، وكانت أيامهِ أيام هدوء وسكينة، وكثرة أموال عنده، فإتخذ القُصور والمتنزهات[3]، وكانَ مولعاً بالسمع موثراً لهُ على جميع لذاتهِ، لما قدِمَ زرياب المغني من العراق، ركِبَ بِنفسهِ وبالغَ في إكرامهِ، وأقامَ عِنده، وأورث زرياب صِناعة الغناء بالأندلس[4].

ومن أمراء قرطبة الأمير محمد بن عبد الرحمن (238- 273هـ /821- 852م)، كانَ محباً للعلوم مؤثراً لأهل الحديث [5] حسن السيرة، وفي عهده دخل الأندلس بقي بن مخلد[6] إلى الأندلس بعد رحلةٍ طويلة في المشرق، جامعاً من العلوم الواسعة والروايات العالية، والإختلافات الفقهية، فكان منها كتاب (مصنف ابن أبي شيبة)، وقد أغاظ ذلك فقهاء قرطبة وأصحاب الرأي لما فيهِ من الخلاف، فألزموهُ البدعة، ووصفوه بالقبيح وبسطو العامة عليهِ ومنعوهُ من قراءتهِ[7]، حتى وصل خبرهُ إلى الأمير محمد فأحضرهُ ومعهُ الكتاب، وقام بتصحفهُ صفحة صفحة حتى أخرهُ، وبعدها أمر خازن الكتب قائلاً: ((هذا الكتاب لايستغنى خِزانتنا عنهُ، فأنظر في نسخهِ لنا))، ثم قال لبقي بن مخلد ((انشر علمك وأروي ما عندك من الحديث، وأجلس للناس حتى ينتفعوا بكَ))[8]، وعُرّف عن عبد الرحمن الثاني كذلك أنه كانَ مُتعاطفاً معَ الأدب والفنون، وأنه كانَ نفسهُ بليغاً فصيحاً شاعِراً[9]، كانَ يلتذ بمطالعة كتب الطب والفلسفة القديمة، وكتب العلوم الشرعية، وحتى يُشبع رَغبَته فقد أحاط نفسهُ بمجموعة من العلماء[10]،وذكر جماعة من المؤرخين أنهُ لم يكن أحد من ملوك الدنيا أكملٌ عقلاً ولا أبلغ فضلاً من الأمير محمد، وكانَ مُكرماً لأعلام الناس من أهل العلم والموالي والأجناد [11].

---

(1) الخشني، قضاة قرطبة، ص11.
(2) عبدالواحد المركشي، المعجب، ص48.
(3) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ص 138- 139.
(4)هونكه، شمس العرب، ص ص 489-490.
(5)عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 49؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المُغرب، ج2، ص ص 163- 164.
(6) بقي بن مخلد: هو أبو عبد الرحمن من حفاظ المحدثين و إمام الفقهاء والزهاد القدوة، أحد الأعلام، تلقى العلم على عدد من علماء قرطبة في الحديث والفقه، و رحل إلى الشرق وروى عن الأمة أعلام السنة، منهم الإمام أحمدبن حنبل، وأبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة، له مصنفات عديدة منها كتابهُ في تفسير القرآن.
ابن الفرضي، تأريخ علماء الأندلس، ص 82 ص 83؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص 156 ص 157؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2ص 518 ص 519.، المقري، نفح الطيب، ج، 2ص 518.
(7) الحميدي، جذوة المقتبس، ص ص11- 12.
(8)الضبي، بغية الملتمس، ص 126ص 17؛ الحميدي، جذوة المقتبس، 17.
(9) بروفسل، ليفي، الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية، معهد الجنرال فرانكو، تطوان الجزائر، 1951م، ص18.
(10) عبدالواحد المراكشي، المعجب، ج2، ص 48.
(11) ابن حيان القرطبي، ابو مروان حيان بن خلف(ت 469هـ/1076م)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق، محمود علي مكي، دار القاهرة، 1971م، ص 930.

ومن عِظام خلفاء قرطبة المسلمين عبد الرحمن الناصرلدين الله (300- 350هـ /912- 961م) الذي جلس على العرش مدة أطول ممن سبقهُ في الحكم ولم يبلغها خليفة قبلهُ، وسُّميَ بأمير المؤمنين، ولُّقب بالناصر لدين الله[1]،والذي في عهدهِ تطور العلم والتعليم إلى مرحلة متقدمة، وشمل النساء إذ، ذكر أنَ في أرباض قرطبة مائة وسبعين إمرأة كُنَّ يكتبنَ المصاحف بالخط الكوفي[2].

(1) الحميدي، المصدر السابق، ص13.

(2)عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص55؛ للإطلاع على نشاط نساء الأندلس، ينظر بهجت، منجد مصطفى، أعلام النساء مستلة من كتاب التكملة، لابن الأبار، مجلة المورد وزارة الثقافة، بغداد، المجلد (19)، العدد الأول، 1999م.

وكذلك ابنـةُ الخليفـة الحكم الثـاني المستنصـر (350- 366هـ /961- 967م)، عُرّفَ بحسن سيرته[1]وحبـهُ للعلـوم وإكـرام أهلـهِ [2]، فقد كـانَ أنَ الحكـم مـن المهتمـين بجميـع العلـوم العقليـة والطبيعية بما قي ذلك الطب، وفي هذا الشأن يقول إبن الأبار: ((كانَ الحكم من أهل الدين والعلم، راغبـاً فـي جمـعِ العلـوم الشرعية من والحديث وفنـون العِلم، باحِثـاً عن الأنسـاب، حريصـاً علـى تأليف قبائل العرَب، وإلحاق من دَرَسَ نَسَبَهُ بقبيلتِهِ التي هوَ منها، مُستجلباً للعلمـاءِ ورواة الحديث من جميع الآفاق، يُشاهد العُلماء ويسمع منهم ويروي عنهم))[3].

ومن وسائل الخليفة الحكم المستنصر بالله في دعمهِ للنشاط العلمي، فإنهُ سعى إلـى تقريـب أولي العلم والمعرفة، وإكرامهم، وتهيئـة المنـاخ الملائـم الذي يستطيع فيـهِ أولئك الأنصـراف إلـى العلم والبحث العلمي في حقول المعرفة المختلفة[4].

وقد وفدَ علـى أبيـهِ الخليفـة الناصـر الأديـب اللغوي أبـو العلـي القـالي البغدادي[5] صـاحب (كتاب الأمالي) من بغداد، وأكرم مثواه و حسنت منزلتـه عِندهُ، وقد أورث أبـو علـي القـالي أهل الأندلس علمهُ وأختص بالحكم المستنصر وأفاد من علمهُ حتى قويَ عند الحكم حُبُّ العلمِ وإشـتدت رغبتـه فـي إقتنـاء الكتـب، فبعث بالتجـار إلـى الأقطـار ومعهم الأمـوال لِشـراء الكتـب، وإسـتجلاب المصنفات من الأقاليم والضواحي، باذلاً فيها ما أمكن من الأموال مما لا ينفقه غيره، حتـى جلـبَ إلى الأندلس مالم يعهده علمائها مما كانَ يُضاهي ما جمعهُ ملوك بني العبـاس فـي زمـان طويل[6]، وكذلكَ بعث بطلـب كتـاب (الأغـاني) إلـى مُصنفهُ أبو الفرج الأصـفهاني[7]، وإشتراهُ مِنـهُ بـالف دينار قبل خروجهُ من العراق[8].

وشهِدتْ قرطبة في عهده المركز العلمي الأول فقد توافد العلماءُ إليها من كل أقطـار الدُنيا وصارت هناكَ بعثات للعلوم وقامت حركة ترجمة واسِعة[9].

((ومـن مُستحسـنات أفعالـه و طيبـات أعمالـهُ أتخـاذه المـؤدبين يُعلمـون أولاد الضُـعفاء و المساكين القرآن داخل المسجد الجامع، وبِكُلِ ربضٍ من أرباض قرطبة، وأجرى عليهم المُرتبـات

---

(1) ابن حزم الاندلسي، ابو محمد بن احمد بن سعيد (ت 456هـ/1063م)، جمهرة أنساب العرب،، تحقيق، عبد السلام هارون، القاهرة، 1383هـ/ 1962م، ص 97 ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص19.

(2) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص 196.

(3) ابن الأبار، الحلة السيراء، ص ص 200- 201.

(4) البشري، سعد عبدالله صالح، (الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس) (316 -422هـ/ 928- 1030 م)، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية و إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1417هـ - 1997م، ص 76.

(5) ابو علي القالي: ابو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دخل قرطبة (سنة 303هـ)، تتلمذ عليهِ كبار علماء الأندلس، كان إماماً في اللغة متقدماً فيها مُتقنَناً لها، فإستفادَ الناسُ منهُ وعولوا عليهِ، وكانت كتبهُ غاية في الإتقان، ومن كتُبهُ التي إختصَ بها علمهُ (الأمـالي) و (كتـاب الممدود والمقصور) و (كتـاب الإبل) و كتُب أخرى عديدة، توفيَ في قرطبة ودُفنَ فيها (سنة 356هـ)0

أنظر: ابو علي القالي، إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت 356هـ/ 967م)، الأمـالي، الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب، 1975م، ج1 ص 8؛ عبدالواحد المراكشـي، المعجب، ص303؛ العـامري، محمـد بشـير راضـي، علاقة المغرب والأندلس بحضارة بغداد، مجلة دراسات تأريخية، العدد 16، 2002م، ص 80.

(6)عبدالواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 59؛ ابو علي القالي، إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت 356هـ/ 967م)، الأمالي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975م، ج1 ص 8.

(7) المقري، نفح الطيب، ج1، ص362.

(8) ابن سعيد الغرناطي، المُغرب، ج1 ص181.

(9) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، تحقيق علي عبد الوافي، القاهرة، 1960م، ج4، ص 144.

وعهد إليهم الاجتهاد والفصح إبتغاءِ وجه الله تعالى))[1]، وقد وثق هذا العملٌ أحد الشعراء في مدحهِ الحكم بقولهِ:

وساحةُ المَسجِدِ الأعلى مُكللةَ مُكاتباً لليتامى في نواحيها

لومكنتْ سوّرٌ من القرآنِ عِلمٍ نادَكَ ياخيرَ تاليها وَواعيها[2]

وقد أعطى الحكم إهتمامه بالشِعرِ، كإهتمامهِ بالعلومِ، وذلك كونهِ شاعراً، ولهُ من شِعرِهِ يقولٌ فيهِ:

إلى اللهِ أشكومن شمائِلِ مسرِفٍ على خلومٍ لا يدِينٌ بما دنت نَأتٌ

عَن داري ما ستزداد حدوده وإني على وَجدي القديم بما دنت

لو كنت أدري أنَ شوقي بالغٌ في الوجدِ ما بلغتهٌ لم أكن تبت[3]

(1) ابن سعيد الغرناطي، المصدر السابق، ج2، ص ص 358- 359.
(2) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج2، ص ص 358- 359.
(3) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 66.

هذا فضلاً عن ان مدة حكمه دامت خمسة عشر عاماً اتسمت بالهدوء والاستقرار والعمران وكذلك النشاط العلمي والدبلوماسي[1].

وكان الخليفة سليمان الحكم المستعين (4..هـ/1..9م)من حكام الأندلس الموحدين الذين عرفوا بحبهم للعلم وتقدير العلماء، ومنهم ابو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن (580-558هـ/1162-1184م)، إذ نعمت الأندلس في عهده بمالم تعهده في عهد من سبقه من الحكام، إذ كان سخيا جواداً، إستغنى الناس في أيامه، وحدثت في غهده حركة علمية واسِعة وكانت له مشاركة في العلم والأدب، وتبحر في علم النحو وجمع الكثير من من الكتب من أقطار الأندلس والمغرب[2]، وكان يهتم ويسعى في إرسال العلماء،فجمع حوله منهم مالم يجمع أحد قبله من الولاة والأمراء، للنحاور والمناقشة في أمور العلم، ومنهم الفيلسوف والفلكي والطبيب ابن طفيل محمد بن عبدالملك (ت581هـ/1185م)[3] الذي إشتهر بطروحاته الفلسفية التي أثرت في الفكر الأوربي لقرون في رسالتهِ الموسومة (حي بن يقظان)، ومنهم الطبيب الفيلسوف أبو الوليد بن رشد الحفيد القرطبي(526-595هـ/1131-1198م)[4]، وهما من زعماء الحركة الفلسفية في الأندلس[5]، وسنأتي تفصيلات عنهم وإنجازاتهم العامة في الطب وغيرهِا في المبحث اللاحقة.

---

(1)العمري، عبدالله حسين، تأريخ العلم عند العرب، دار المجدلاوي، عمان - الاردن، 1990م، ص 259.

(2) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 210.

(3)م. ن، ص 312.

(4) م. ن، ص 314؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح ونعليق نزار رضا، دار صادر، بيروت، ب/ت، ص ص 530- 533.

(5)ابو عبية، الحضارة الإسلامية، م2 ص 888.